أقطع له به قطعة من النار»(1).
٣ـ ومن فوائدهما: أن هؤلاء المنافقين لا يقولون للمؤمنين: «إنّا معكم» ؛ بل يقولون: «إناء، ولكنهم في خطاب الكافرين يقولون: «إنا معكم»، وهذا في عقد الموالاة بينهم وبين الكفار؛ لأن المعية تقتضي المناصرة والموالاة؛ فهم مع الكفار أولياء مناصرون، لكن مع المؤمنين يقولون: «إناك، وما يدرينا لعلهم بقولهم: «إناء يعنون: آمنا بالطاغوت.

٤ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أن الله ـ عز وجل ـ يستهزئ بمن يستهزئ به وبعباده حين قال: «الله يستهزئ بهم، وهذا الوصف الذي وصف الله به نفسه ـ وهو الاستهزاء على قاعدة أهل السنة والجماعة السلفية ـ يجرى على ظاهره، ويقال: إن الله - عز وجل ـ يستهزئ بمن يستحق الاستهزاء، وهو استهزاء حقيقي يليق بالله ـ عز وجل ـ ليس استهزاء يتضمن نقصا؛ لأن الله وصف به نفسه فهو كال، كما قال الله تعالى -: «ويله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴾ [النحل: 60]؛ ولهذا لا تجد الله ـ عز وجل ـ يصف نفسه بالاستهزاء على وجه الإطلاق، وإنا وصف نفسه بالاستهزاء في مقابلة المستهزئين بعباده؛ ليبين بذلك أن الله ـ عز وجل ـ أقوى منهم وأعظم، فإذا سخروا من المؤمنين سخر الله منهم.

(1) سبق تخريجه ص(٥٧).

سورة البقرة

١٠١

هـ ومن فوائد الآيتين: بيان حكمة الله ـ عز وجل ـ؛ حيث جعل الجزاء من جنس العمل، فكا أن هؤلاء استهزءوا بالمؤمنين؛ فالله - تعالى ـ استهزأ بهم، وهذا من عدل الله ـ عز وجل ـ، وهو ثابت في الدنيا وفي الآخرة، بل إن جزاء الله ـ عموما ـ دائر بين العدل والفضل، فهو بالنسبة للعصاة عدل، وبالنسبة للطائعين فضل. والقاعدة العامة عند أهل السنة والجماعة، والسلف الصالح: كل ما وصف الله به نفسه فهو حق على حقيقته، سواء أكان ذلك في كتاب الله، أو فيها صح عن رسول الله ﷺ، ويجب أن نعلم علم اليقين أن كل صفة وصف الله بها نفسه فإن حقيقتها تخالف حقيقة ما يتصف به العبد من جنسها؛ وذلك لأن الصفة تابعة للموصوف، فكا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس كمثله شيء في ذاته؛ فليس كمثله شيء في صفاته، لا يجوز ـ مثلا ـ أن نقول: إن هذه صفة لا تليق بالله، الواجب نفيها وتحريفها إلى

معنى آخر؛ لأننا إذا قلنا بذلك صرنا نحكم على الله ـ تعالى ـ في صفاته بعقولنا لا با بلغنا عنه ـ سبحانه وتعالى ـ ومن المعلوم أن الله ـ عز وجل ـ أنزل هذا الكتاب؛ ليبين للناس الهدى كا قال الله ـ تعالى ـ: «يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم ﴾ [النساء: ١٧٦]، وقال: «يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ [النساء: ٢٦]، وقال: «ونزلنا عليك الكتب يبينا لكل شيء ﴾ [النحل: ٨٩] وقال: «الر كتب أنزلته إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى الثور

أحكام من القرآن الكريم

بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [إبراهيم: 1] وقال: «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم [إبراهيم: 4]، وقال: «كتب أنزلته إليك مبرك ليدبروا ايته، وليتذكر أولوا الألبب» [ص: ٢٩]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وليس من حقنا، ولا يسوغ لنا أن نحكم على الله ـ تعالى ـ بعقولنا، بل نقول: سمعنا، وأطعنا، وآمنا، وصدقنا؛ فوظيفتنا نحو ما أخبر الله به عن نفسه أن نقول: سمعنا، وأطعنا، وآمنا، وصدقنا، وألا نحرف ظواهر النصوص إلى معان نعينها بعقولنا، ونحكم بها على ربنا، كما أنه يجب علينا نحو هذه النصوص ألا نعتقد فيها تمثيلاً؛ أي: أن الله ـ تعالى ـ مماثل لخلقه فيها؛ فإن الله ـ تعالى ـ يقول: «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير [الشورى: ١١]، فنحن نعلم بالعقل أنه لا يستوي المخلوق مع الخالق في أي صفة من
ہے
الصفات.

ثم قال الله ـ عز وجل ـ: «أولتبك الذين اشتروا الضليلة بالهدى فما ريخت تجرتهم وما كانوا مهتدين ؟.

الإشارة في قوله: «أولتيك» إلى المنافقين، وأشار إليهم باسم الإشارة الدال على البعيد ـ وإن كان الكلام فيهم قريبا ـ للتبرؤ منهم والبعد عنهم؛ فإن الإشارة للبعيد تارة تكون لعلو منزلة المشار إليه

سورة البقرة

وتارة تكون لدنو منزلته، وهـذا هـو المقصود في هذه الآية، وقوله: الذين اشتروا الضلة بالهدى؛ أي: أخذوا الضلالة وتركوا الهـدى؛ فسلكوا طريق الضلال وتركوا طريق الهـدى، ولكنه عـبر بالاشتراء؛ ليبين أنهم سلكوا هذا الطريق عن محبة وشغف، كـا يـحـب المشتري أن يحصل على السلعة التي يشتريها، والمراد بالضلالة هنا ما خالف الحـق، وبالهدى ما وافق الحق، قال الله ـ تعالى ـ مبينا نتيجة هذا الفعـل: * فما ربخت تجرتهم وما كانوا مهتدين * بل خسروا خسرانا عظيما، وضلوا
ضلالا بعيدا.

من فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
ا- بيان سفه المنافقين؛ حيث اختاروا الضلالة وتركوا الهدى، وكل إنسان يسلك هذا المسلك فإنه سفيه بلا ريب، كـا قـال الله ـ تعـالى -: ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة: 130].

٢- ومن فوائدها: أن المنافقين يحرصون عـلى كـل مـا فـيـه ضـلالة، سواء أكان من الأمور الكبيرة العامة، أو كان من الأمور الصغيرة حتى الوسائل التي يتوصلون بها إلى إيذاء الخلق، ثـم ضرب الله لهـم مـثلا مطابقا لحالهم تماما فقال: « مثلهم كمثل الذي أستوقد نارا فلما أضاءت ما حوله، ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) .
وهذا المثل مطابق لحالهم تماما، وهو من أمثال التمثيل، كما في علـم

أحكام من القرآن الكريم

البلاغة؛ فهذا رجل احتاج إلى نار يستدفئ بها ويستنير بها، ولكن ليس معه ما يستنير به فاستوقد نارا من شخص؛ أي: طلب أن يوقد لـه نـارا فأوقد له النار، فلا تبين ضوءها من الشعلة طفـئـت الـشعلة؛ فبقي في ظلمة بعد أن كان في نور، وبقيت حرارة النار التي قد يكون فيها ضرر؛ ولهـذا قـال: «ذهب الله بنورهم» ولم يقـل بـنـارهم؛ أي: بقيـت النـار بحرارتها، وذهب النور المستفاد من الشعلة التي انطفأت، وبقـوا في ظلات لا يبصرون، وإنـا كـانوا في ظلـات؛ لأن انطفـاء النـور بعـد وجوده يحدث الظلمة، ولا سـيـا عنـد انطفائه في أول وهلة، هؤلاء المنافقون ليس عندهم نور في قلوبهم؛ إنما يستفيدون ما يستفيدونه مـن النور من بعض المؤمنين من أقاربهم أو جيرانهم فيستضيئون بـه لحـظـة، ولكنهم يعودون إلى

أصلهم من الظلمة والضلالة، يستضيئون به لحظة، ثم ينطفئ؛ فيبقى ذلك حرارة في قلوبهم؛ لأنهم ليس لهم نور
يهتدون به.

ثم قال: «صم بكم عمى فهم لا يرجعون»؛ «ص» يعني: لا يسمعون الهدى، * بكم» لا ينطقون به، «عمى لا يبصرونه، فنفى عنهم طرق الهداية كلها، وقوله: «فهم لا يرجعون»؛ هذا حال المنافق، لا ينطق بالحق، ولا يستمع إليه، ولا ينتفع به لو سمعه، ولا يبصره، وإن أبصره لا ينتفع به، فهو بمنزلة الأعمى.

سورة البقرة

فوائد الآيتين الكريمتين:
ا ـ يضرب الله ـ سبحانه وتعالى ـ الأمثال هنا؛ فيستفاد من ذلك أن من البلاغة أن يضرب المتكلم الأمثال المحسوسة للمخاطب؛ ليتوصل بها إلى المعاني المعقولة؛ لأن إدراك الشيء المحسوس أقرب من إدراك الشيء المعقول، كما قال الله - تعالى - : ﴿ويلك الأمثل نضربها للنّاس وما يعقلها إلا العلمون » [العنكبوت: ٤٣]، وقال الله - عز وجل -:
ج
يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له: إن الذين تدعون من دون الله لن تخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾
[المؤمنون: 73]؛ فالأمثال مهمة في تعليم المخاطب بتقريب المعاني إلى ذهنه وتصورها.
ومن فوائدهما: أن المنافقين ليس لهم نور ذاتي يستضيئون به وإنا نورهم من نور خارجي يضيء عليهم ثم يخبو، ويبقون في ظلمة؛ فتشتد الظلمة عليهم بعد النور الذي أضاء لهم.

3

3ـومن فوائدهما: أن هؤلاء المنافقين إذا استضاءوا بهذا النور الذي يأخذونه من غيرهم، فإنهم قد يلوح لهم شيء من الهدى، ولكن لعلم الله - عز وجل ـ بحالهم، وأنهم ليسوا أهلا للهداية ـ لما في قلوبهم من الزغل، والأفكار الخبيثة ـ يذهب الله بنورهم ويدعهم، وعلى هذه الفائدة تتفرع فائدة أخرى عظيمة وهي أنه يجب على الإنسان أن يطهر ،

أحكام من القرآن الكريم

قلبه تطهيرا كاملا من كل زغل وخبث، وأن يعتني بطهارة قلبه أكثر مما يعتني بطهارة بدنه وثيابه؛ لأن طهارة القلب عليها المدار، وبها تكون طهارة الأعمال الظاهرة.

٤ـ ومن فوائد الآيتين السابقتين: بيان حال المنافقين، وأنهم - والعياذ بالله ـ لا يصل إليهم الهدى من أي طريق؛ فهم صم لا يسمعونه ولا يسمعون ما اهتدوا به، بكم لا ينطقون به، بل ينطقون بالباطل، وما ينطقون به من الحق إنما يريدون به باطلا لا يريدون به حقيقة معناه،

وهم عمي لا يبصرون الحق، ولو أبصروا الحق ما انتفعوا به. هـ ومن فوائدهما: أن هؤلاء المنافقين قد رأوا أنهم على صواب، وعلى حق، وعلى طريق صحيح؛ ولهذا لا يرجعون عن غيهم، بل يبقون على ما هم عليه، ويتفرع على هذه الفائدة فائدة أخرى وهي أنه يجب على الإنسان أن يعتني دائها بالتنقيب والنظر في عمله، وهل هو صواب أم خطأ؛ فإن كان صوابا فليحمد الله وليستمر عليه، وإن كان خطأ فليتب إلى الله، وليرجع إلى الصواب أينما كان.

ج
ثم قال ـ تعالى ـ في المثل الثاني: « أو كصيب من السماء فيه ظلمت ورعد وبرق تجعلون أصبعهم في ،اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكفرين ان يكاد البرق تخطف أبصرهم كلما أضاء لهم مشوا فيه

سورة البقرة

وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصرهم إن الله على كل شيء قدير ﴿ [البقرة: ١٩- ٢٠]

هذا المثل الثاني لطائفة أخرى من المنافقين، وإن شئت فقل: لحال أخرى من المنافقين، ضرب الله لهم مثلا بصيب من الساء؛ أي: مطر نازل من السماء؛ وهو الوحي الذي نزل على رسول الله ﷺ، هذا الصيب فيه ظلات، فيه رعد، فيه برق، فيه ظلمة المطر، ظلمة السحاب، ظلمة الليل، وفيه ـ أيضا ـ رعد وبرق، وهذا الرعد رعد شديد فيه صواعق؛ الصواعق عبارة عن كشف حال هؤلاء المنافقين،
وبيان أسرارهم، وخبثهم، وعا في القرآن من الزواجر والوعيد لمن عصى الله ـ عز وجل ـ، لكن هؤلاء المنافقين يجعلون جة لا تجنُّهم، ويستترون بستر لا ينفعهم، يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق؛ يظنون أنهم إذا لم يسمعوا الصاعقة لم تنزل عليهم، ولكنهم أخطئوا

في هذا التقدير.

وهذه الآية كقوله ـ تعالى ـ: «تحسبون كل صيحة عليهم ﴾ [المنافقون: 4]؛ فيظنون كل آية نزلت في وصف يبين عيوبهم، ويهتك أستارهم، يظن كل واحد منهم أنه هو المعني بذلك فيمشي في الناس وكأنه خائف حذر، ولكن هذا لا يغنيه بشيء؛ البرق بشدته وقوته يقع على بصر ضعيف لا يتحمل، ليس عنده قوة ولا قدرة على تحمل الإضاءة؛ ولهذا

قال: «يكاد البرق تخطف أبصرهم»، والبصر الضعيف يتأثر بكل نور، وكلما قوي النور قوي تأثيره، وانظر إلى الأعشى إذا خرج، أو انظر إلى ضعيف البصر إذا خرج للشمس تجده ينكسف بصره وتهل دموعه؛ لأنه لا يقوى على تحمل هذا النور، فهم كذلك بصرهم ضعيف ويكاد البرق تخطف أبصرهم؛ لأن النور قوي، والبصر غير مقاوم لضعفه؛ فيكاد البرق يخطف أبصارهم؛ لشدته، وضعف البصر، وعجزه عن المقاومة، ومع ذلك فهم ينتهزون الفرصة «كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا؛ لأنهم لا يستطيعون المشي مع هذه الظلات، وبعد هذا النور العظيم قال الله ـ عز وجل ـ: «ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصرهم * لذهب بسمعهم فلم يكن لهم سمع، وبأبصارهم فلم يكن لهم بصر،«إن الله على كل شيء قديره .

فوائد الآيتين الكريمتين:
1ـ أن حال هؤلاء المنافقين حال ضعيفة لا تستطيع المقاومة ولا القيام بشرع الله ـ عز وجل.

٢ـ أن هؤلاء المنافقين عندهم من الخوف والرعب ما يجعلهم يظنون أن كل صيحة عليهم، وأن كل وعيد لهم، وأن كل إنذار لهم أيضا؛ فهم جبناء ضعفاء لا يستطيعون أن يقاوموا الحق؛ لقوته أمامهم، وضعفهم أمامه؛ ويترتب على هذه الفائدة فائدة عظيمة؛ وهي أنه ينبغي

على الإنسان أن يتقبل الحق حيثما كان، وأن يكون عازما على تطبيقه سواء أكان ذلك شاقا على نفسه أم هينا عليها؛ لأن المؤمن ـ كما ذكر الله ـ تعالى ـ من وصفه ـ يقول: سمعنا وأطعنا؛ قال ـ تعالى : (وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير؟ [البقرة: ٢٨٥].

٣ـ ومن فوائدهما: أن القرآن الكريم كالمطر، غيث للأرض تنتفع به، وينتفع به أهل الأرض أيضا، وهكذا وحي الله وشرعه الذي نزل؛ هو كالغيث؛ فمن الناس من يقبل هذا المطر، ويستخرج منه الثمرات العظيمة، وينتفع الناس به، ومن الناس من لا ينتفع بهذا الوحي، ويكون كالأرض الصماء التي تبتلع الماء، ولا تنبت شيئا، ومن الناس
من يكون على أوصاف أخرى بالنسبة لهذا المطر النازل من السماء. ٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة التي فيها المثل الثاني: أن هؤلاء المنافقين قد يستضيئون بعض الشيء ـ أحيانا ـ بما يرون من النور الحاصل من الوحي، ولكن سرعان ما يزول ويذهب مع أنهم ينتفعون به على مشقة حتى إنه يكاد يخطف أبصارهم.
هـ ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات المشيئة لله ـ عز وجل ـ؛ لقوله: ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصرهم ، وقد أثبت الله ـ تعالى - مشيئته في عدة آيات من القرآن، وكل شيء فإنه بمشيئة الله؛ ولهذا أجمع المسلمون على هذه الكلمة»ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن» ، ولكن

*

أحكام من القرآن الكريم

مشيئة الله - سبحانه وتعالى ـ تابعة لحكمته؛ فلا يشاء ـ سبحانه وتعالى ـ
إلا ما اقتضت حكمته مشيئته؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيمًا﴾ [الإنسان: 30]، فبين أن مشيئته مقرونة بعلمه وحكمته ـ وهو كذلك ـ ولكن حكمة الله - عز وجل - منها ما هو معلوم لنا ومفهوم نشاهده ونعرفه، ومنها ما هو خفي علينا؛ لأننا قاصرون في العلم والإدراك، كما قال ـ تعالى ـ: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ [الإسراء: 85].

فا يرد على الذهن ـ أحيانا ـ من الإشكال في بعض الآيات الكونية أو الآيات الشرعية؛ إنها ينشأ من قصور الإنسان أو تقصيره، ولو أن الإنسان بحث بحثا جديا يريد به الحق؛ لتبين له من حكمة الله ـ تعالى ـ في أحكامه الكونية والشرعية ما لا يتبين للغافل المعرض الذي لا يريد إلا

أن يشكك الناس في بعض الأمور التي تخفى في حكمتها، كما يعرف من بعض الناس الذين يأتون ويقولون: ما الحكمة في كذا؟ ما الحكمة في كذا؟

نحن لا نسيء الظن بأحد، لكن من الناس من يقول ذلك؛ ليشكك العامة فيها هم عليه من الهدى والحق، لا لقصد أن يصل إلى المعنى المطلوب الذي يسأل عنه، ومع هذا فإني أقول: إن علمت حكمة الشيء الواقع بقضاء الله وقدره، وحكمة الشيء الواقع بشرع الله ودينه، فهذا

سورة البقرة

111

بلا شك من نعمة الله عليك، وإن لم تعلم فسلم الأمر وكل الأمر إلى عالمه ـ سبحانه وتعالى ـ، واعلم أنه لا يحكم إلا لحكمة عظيمة، علمها من علمها وجهلها من جهلها.

6ـ ومن فوائد الآية: أن الله ـ تعالى ـ على كل شيء قدير، وقدرته ـ عز وجل ـ قدرة تامة، لا يعتريها عجز بوجه من الوجوه؛ ولهذا كان أمره بالشيء أمرا واحدا لا يكرره، بل إذا أمر بشيء كان في لحظة، قال الله ـ تعالى ـ: «وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصرة [القمر: 50]. فتأمل قوله: «وما أمرنا إلا وجدة »؛ يعني: لا يقول للشيء: كن، ثم يقول له: كن مرة ثانية، بل إذا قال: كن؛ كان كلمح البصر، وتأمل قوله ـ تعالى -: «إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ [يس: 53] وقوله - تعالى -: «فإنما هي زجرة واحدة - فإذا هم بالشاهرة ﴾ [النازعات: 13، 14]، تجد أنها زجرة أو صيحة واحدة، يبعث فيها الخلائق كلهم؛ فيحضرون للقضاء بينهم بقدرة الله ـ عز وجل ـ وهذا دليل على كمال قدرته ـ سبحانه وتعالى ـ؛ ولهذا قال: إن الله كل شيء قدير، ولا يستثنى من هذا شيء أبدا؛ فكل شيء الله قادر عليه؛ ويتفرع على الإيمان بهذه الفائدة أن الإنسان ينبغي أن يسأل ربه كل ما يرى فيه مصلحة، ولا يستصعب الأمر، ولا يقول: هذا لن يكون، هذا بعيد؛ ولهذا قال النبي ﷺ:«لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي

12

أحكام من القرآن الكريم

إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته؛ إنه يفعل ما يشاء لا مكره له »(1)؛ فلا أحد يكره الله حتى يقال: إن شئت فافعل، وإن شئت فلا تفعل، فلا يقال: «إن شئت» إلا لمن هو مكره فينظر هل يشاء أو لا يشاء، أما الذي يفعل باختياره، وبإرادته، وبقدرته؛ فإنه لا يقال في حقه: «إن شئت»؛ ولهذا نهى النبي ﷺ عن ذلك، وقال: «إنه يفعل ما يشاء لا مكره له».

ثم قال الله ـ عز وجل ـ: «يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون».

وجه الله الخطاب إلى الناس؛ لأن الناس جميعا يجب عليهم عبادة الله وحده لا شريك له، والعبادة هي التذلل إلى الله ـ عز وجل ـ بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وقد تطلق على المتعبد به، وهي العبادات التي .

يقوم بها الإنسان؛ كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج. وقوله: «أعبدوا ربكم » الرب: هو الخالق المالك المصرف المدبر لجميع الأمور، وقوله: «الذي خلقكم ؟ يعني: الذي أوجدكم من العدم، والذين من قبلكم؟ ؛ أي: خلقهم وأوجدهم الله من العدم كا أوجدكم ولعلكم تتقون»؛ أي: من أجل أن تصلوا إلى هذه المرتبة
(1) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، رقم (٧٤٧٧).

العالية؛ وهي تقوى الله ـ عز وجل ، والتقوى: اتخاذ الوقاية من عذاب
الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه.
فوائد وأحكام الآية الكريمة:
١ـ بيان أهمية هذا الطلب؛ وهو عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، ووجه ذلك أنه لا يصدر الخطاب بالنداء إلا للعناية به؛ لأن النداء نوع من التنبيه؛ فأنت إذا ناديت المخاطب انتبة واتجة إليك. ٢ـ ومن فوائد الآية: أن العبادة حق الله، واجب على جميع الناس؛ ولهذا قال: «يأيها الناس اعبدوا ربكم» فكل الناس يجب عليهم عبادة الله، وعبادة الله ـ تعالى ـ هي التعبد له؛ أي التذلل له بفعل أوامره واجتناب نهيه خشب شرعه الذي أرسل به رسله، وهي مختلفة؛ بمعنى أن من الناس من يجعل الله له شريعة كذا، والآخر شريعة كذا، خشب ما يصلح به الخلق، ولكن

الشرائع كلها اجتمعت بشريعة محمد و وصارت شريعة محمد ﷺ ناسخة لجميع الشرائع؛ فلا عبادة الله إلا عن طريق شريعة محمد ﷺ، والعبادة لابد أن تكون مبنية على أساسين هما: الإخلاص لله - عز وجل ، والمتابعة لرسول الله ﷺ
أما الإخلاص لله ـ عز وجل ـ فهو أن ينوي الإنسان بعبادته وجه الله والدار الآخرة، لا ينوي بذلك حطاما من الدنيا، ولا جاها، ولا رئاسة، ولا تزلفا لمخلوق، بل ينوي بذلك وجه الله والدار الآخرة،

ومتى
كانت هذه نيته؛ فإنه سوف يحسن العمل، سوف يعبد الله كأنه يراه. فإن لم يكن يراه فإن الله - سبحانه وتعالى ـ يراه، وضد الإخلاص في العبادة الشرك في العبادة؛ بأن ينوي بعبادته غير وجه الله والدار الآخرة؛ ينوي بها حطاما من الدنيا، ينوى بها تزلفا لمخلوق، ينوي بها الحصول على الجاه بين الناس، وهكذا فإن هذه النية باطلة مبطلة للعمل.

أما الركن الثاني أو الشرط الثاني فهو متابعة الرسول محمد ﷺ، ولا يمكن أن تتحقق المتابعة إلا إذا كانت العبادة موافقة للشريعة في أمور ستة: في سببها، وجنسها، وقدرها، وصفتها، وزمانها، ومكانها، فإن خالفت الشريعة في واحد من هذه الأمور الستة؛ لم يكن الإنسان متبعا فيها لرسول الله ﷺ، فمن أحدث عبادة لسبب غير شرعي؛ فإن عبادته غير مقبولة، بل مردودة عليه؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»(١)، وهذا الحديث أساس لكل الأوصاف التي ذكرناها، ومن تعبد الله بجنس غير مشروع؛ فإن عبادته غير مقبولة، فلو أن الإنسان ضحى بفرس؛ فإن أضحيته لا تقبل؛ لأنه ضحى بجنس غير مشروع؛ فإن الأضحية إنها تشرع من بهيمة الأنعام، من الإبل،
والبقر، والغنم.

(١) سبق تخريجه ص(٤٩).

ولابد أن تكون موافقة للشرع في قدر العبادة، فمن تعبد الله بأمر زائد على ما شرعه؛ فإن هذا الزائد لن يقبل، ثم قد يبطل العبادة كلها، وقد لا يبطلها، لو صلى الإنسان الظهر خمسا لم تقبل منه؛ لأنها على غير القدر الوارد في الشرع، وهذه الزيادة تبطل العبادة، لكن لو أخرج الفطرة صاعين من الطعام لم يثب ثواب الفطرة على كلا الصاعين، وإنها يكون أحد الصاعين هو الذي يثاب عليه ثواب الفطرة، والثاني يثاب عليه ثواب الصدقة، وهناك فرق بين الفطرة والصدقة؛ لأن الصدقة تطوع والفطرة فرض، والإنسان يثاب على الفرض أكثر مما يثاب على التطوع، ويدل على الفرض حديث ابن عباس ـ رضي الله عنها - قال فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات»

ولابد أن تكون موافقة للشرع في صفتها، فإن خالفت الشرع في الصفة؛ لم تكن مقبولة، لو أن الإنسان صلى فبدأ بالسجود قبل الركوع؛ لم تكن صلاته مقبولة؛ لأن ذلك على خلاف الصفة التي ورد بها الشرع؛ فتبطل الصلاة ولا تقبل، وكذلك على القول الراجح من أقوال أهل العلم لو توضأ الإنسان فبدأ برجليه، ثم رأسه، ثم يديه، ثم

(1) أخرجه أبو داود: كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر، رقم (١٦٠٩)؛ وابن ماجه: كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر، رقم (١٨٢٧).

-

أحكام من القرآن الكريم

وجهه؛ لم يكن وضوءه مقبولا؛ لأنه على غير الصفة الواردة عن رسول الله ﷺ

ولابد ـ أيضا ـ أن تكون موافقة للشرع في الزمان؛ فلو تعبد الإنسان عبادة الله ـ عز وجل ـ في غير زمانها؛ لم تكن مقبولة، لو أن الإنسان حج ـ مثلا ـ في غير وقت الحج؛ لم يكن حجه مقبولا ولو زار أمكنة المناسك؛ لأنها في غير الوقت.

ولابد أن تكون موافقة للشرع في مكانها، فلو اعتكف الإنسان في بيته؛ لم يكن اعتكافه مقبولا؛ لأنه لم يتبع فيه شريعة الله . والخلاصة أن العبادة لا تكون مقبولة إلا بموافقة الشرع، ولا تكون موافقة للشرع إلا إذا وافقت ما جاء به الشرع في السبب، والجنس،

والقدر، والصفة، والزمان، والمكان.

*

ثم قال ـ تعالى ـ: «الذي جعل لكم الأرض فراشا والشماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به، من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا يلي أندادا وأنتم تعلمون).

هذه الآية تكملة للآية التي قبلها؛ وهي قوله ـ تعالى ـ: « يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون»؛ ففي

سورة البقرة

١١٧

الآية الأولى الإيجاد الذي خلقكم والذين من قبلكم»، وفي الآية الثانية الإمداد؛ فإن الله ـ تعالى ـ خلقنا وأمدنا بالرزق الذي نتأهل به لإعداد أنفسنا لقبول شريعته، فذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما أمدنا به من المقر الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء»، ومن الرزق الذي به قوام البدن * وأنزل من السماء ماء فأخرج به، من الثمرات رزقاً لكم ، وبتمام الإمداد يجب الاستعداد لما أمر الله به؛ ولهذا قال: «فلا تجعلوا لله أندادا» أي: شركاء في عبادته أو في شيء من حقوقه وخصائصه، «وأنتم تعلمون»؛ أي: تعلمون أنه لا يد له في ربوبيته، فإذا كنتم تعلمون أنه لا شريك له في ربوبيته؛ فإن مقتضى ذلك ألا تجعلوا له شريكا في عبادته، تتألهون إليه، وتعبدونه، وتتقربون إليه؛ كا تتقربون إلى الله ـ عز وجل ـ.

فوائد وأحكام هذه الآية:
1ـ في هذه الآية من الأحكام أن الأرض جعلها الله ـ تعالى ـ فراشا لبني آدم، جعلها قرارا مستقرا لا تميد ولا تضطرب، ولو كانت تميد أو تضطرب ما صح أن تكون فراشا يطمئن فيه الإنسان ويستوطن. ٢ـ من فوائدها: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الساء بناء، وستاها الله ـ عز وجل ـ في آية أخرى سقفا محفوظة؛ فهي مبنية ومحفوظة بحفظ الله ـ عز وجل ـ، وهو الذي (ويمسك السماء أن تقع

١١٨

على الأرض إلا بإذنه ﴾ [الحج: 65]، فلولا أن الله أحكم البناء؛ لوقع على الأرض، وهذه من نعمة الله علينا.

3ـ ومن أحكامها: إثبات أن الأسباب لها أثر في مسبباتها؛ لقوله ـ تعالى ـ حين ذكر إنزال الماء من الساء -: «فأخرج به من الثمرات ؛ أي: أخرج بسببه، ولا يشك عاقل في أن للأسباب تأثيرا في مسبباتها، وهذا التأثير الذي أودعه الله في الأسباب هو من خلق الله ـ عز وجل ـ فمن أنكر تأثير الأسباب في مسبباتها؛ فقد خالف ما هو معلوم ببداهة العقول، ومن جعل الأسباب مؤثرة بذاتها؛ فقد أثبت مع الله شريكا، ومن أثبت تأثير الأسباب لكن بإرادة الله ـ تعالى ـ ومشيئته؛ فقد وافق الحق والواقع، وهذا هو المذهب الراجح الذي جرى عليه المحققون من أهل العلم، خلافا لمن قال: إن الأسباب لا تؤثر، وأن ما يحصل بها من الأسباب حاصل عندها لا بها؛ لأن هذا مكابرة للواقع، فهؤلاء يقولون: إن النار إذا أحرقت الورق لم تكن هي التي أحرقته، ولكن حصل الإحراق عندها لا بها، ونحن نقول: بل حصل الإحراق بها، لكن بأمر الله، فهو الذي خلق فيها هذه القوة المحرقة، ولو شاء الله - تعالى ـ لسلبها هذه القوة؛ بدليل أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال للنار التي ألقي فيها إبراهيم: «يتار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ [الأنبياء: 69]، فكانت بردا وسلاما عليه، بردا خلاف طبيعتها التي هي الحرارة، وسلاما خلاف أثرها الذي هو الإحراق، قال بعض العلماء: ولو قال

الله: «كونى بردا»، ولم يقل: «وسلما»؛ لأهلكه بردها، المهم أن في هذه الآية الكريمة إثبات الأسباب وتأثيرها في مسبباتها، ولكن من الذي جعل السبب مؤثرا؟ هو الله، والسبب؛ هو المطر. ٤-.وفي الآية الكريمة من الفوائد: منة الله - سبحانه وتعالى ـ على عباده بهذا الماء النازل من السماء؛ حيث أخرج به من الثمرات رزقا لنا ورزقا لمواشينا أيضا؛ كما قال ـ تعالى ـ في سورة النحل: * هو الذي أنزل من السماء ماء لكر منه شراب ومنه شجر فيه نسيموت) [النحل: ١٠]؛ تسيمون: أي ترعون أنعامكم.

5ـ ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب شكر المنعم؛ لقوله: «فلا تجعلوا له أندادا»؛ أي: هذا الذي أنعم عليكم يجب أن تشكروه وتوحدوه بالعبادة كما أنه هو الذي أنعم عليكم وحده فلا

تجعلوا له أندادا.

6 ـ وفي الآية الكريمة من الفوائد: شدة اللوم على من اجترأ على المحرمات مع العلم؛ لقوله: «فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون»؛ فإن من علم بالقبيح وتجرأ عليه؛ أعظم جرما وقبحا ممن لم يعلم به ولو تجرأ عليه.

-وفي الآية الكريمة من الفوائد أيضا: أن الأرض التي يستولي عليها الإنسان تكون ملكا له، قراراً وهواء؛ قراراً يؤخذ من قوله

١١٢٠

أحكام من القرآن الكريم

ه الذي جعل لكم الأرض فراشا»، وهواء من قوله: « والسماء بناء »؛ فكل ما كان فراشا لي من الأرض فإنها يقابله من السماء بناء لي؛ ولهذا قال العلماء ـ رحمهم الله ـ: إن الهواء تابع للقرار؛ أي: أن من ملك أرضا فله قرارها وله هواؤها إلى السماء؛ فلا يملك أحد من جيرانه أن يبني جناحا يكون ظله على أرض الجار، بل قال العلماء: لو أن أغصان
شجرة جارك صارت فوق بيتك فلك المطالبة بإزالة هذا الغصن.

ثم قال ـ تعالى ـ: « وإن كنتُم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بشورة من مثله، وأدعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صدقين - فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
أعدت للكنفرين .

هاتان الآيتان لها ارتباط با قبلها من حيث المعنى؛ وذلك أن في الآيتين السابقتين تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله بإفراد الله ـ تعالى ـ بالعبادة، وفي هاتين الآيتين تحقيق رسالة النبي ﷺ؛ وذلك في قوله: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا؛ فالآيات الأربع متضمنة لشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، والريب هو الشك مع القلق والضجر، والمراد بالعبد ـ هنا ـ محمد ﷺ، وأشرف أوصافه - عليه الصلاة والسلام - وصفان العبودية والرسالة، وقد ذكر الله -

سورة البقرة

سبحانه وتعالى ـ وصف نبيه محمد ﷺ بالعبودية في أعلى مقاماته، فوصفه بالعبودية حال إنزال القرآن، وحال الإسراء، وحال المعراج، وحال التحدي والذود عنه؛ فقال في الحال الأولى: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتب ولم يجعل له عوجاء [الكهف: 1]، وقال: «تبارك الذي نزل الفرقان على عبده، ليكون للعالمين نذيرا ﴾ [الفرقان: 1]، وقال في الحالين الثانية والثالثة : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصاه [الإسراء: 1]، وقال: «ثم دنا فتدلى ع فكان قاب قوسين أو أدنى : فأوحى إلى عبده، ما أوحى [النجم: ٨ - ١٠]، وقال في الحال الرابعة مقام التحدي: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا، والمراد ـ هنا ـ با نزل القرآن الكريم، فأتوا بسورة من مثله، ولكنهم لن يستطيعوا ذلك، وقال: «وأدعوا شهداءكم من دون الله ؛ يعني: كل من تقدرون على الاستعانة به ممن تدعونهم أولياء أو شفعاء فادعوهم معكم؛ ليعينوكم على أن تأتوا بسورة من مثله «إن كنتم صدقين فيها تدعون من أن هذا القرآن ليس من عند الله، ولكنهم لن يفعلوا ذلك؛ ولهذا قال: «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة »؛ أي: فإن النار ستكون مأواكم؛ فاتقوها واحذروها، وذلك بالرجوع إلى الحق وتصديق رسول الله ﷺ، هذه النار التي وقودها الناس؛ الناس المستحقون لها من الكفار والمنافقين، والحجارة هي حجارة عظيمة

أحكام من القرآن الكريم

ليست كحجارتنا في الدنيا، تحمى في نار جهنم؛ فتزداد حرارة النار، ويزداد اشتعالها ـ والعياذ بالله ـ «أعدت للكفرين»؛ يعني: أعدها الله

للكافرين به وبرسله، وكذلك للمنافقين؛ كما قال ـ تعالى ـ: «وقد نزل عليكم في الكتب أن إذا سمعتم ءايت الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنفقين والكفرين في جهم جميعا﴾ [النساء: ١٤٠].
ج

فوائد الآيتين الكريمتين:
1ـ وفي هاتين الآيتين الكريمتين يبين الله - عز وجل ـ أن رسول الله صادق فيما جاء به من الوحي، وأن هذا الوحي نازل من عند الله . ٢ـ ومن فوائدهما: تحدي المكذبين لرسول الله ﷺ،

ومن كان معهم
من أعوانهم أن يأتوا بسورة من مثله، ولكنهم لن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا، قال أهل العلم: وتحدي الله المكذبين بالقرآن جاء على ثلاثة أوجه بل على أربعة؛ فتحداهم بالقرآن كله في قوله: «قل لين اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله، ولوكات بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [الإسراء: 88]، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله؛ فقال ـ تعالى -: «أم يقولون أفترنه قل فأتوا بعشر سور مثله مفترينت * [هود: 13]، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله كا في هذه الآية الكريمة: «وإن كنتُم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة

ورة البقرة

١٢٣

من مثله ، وتحداهم أن يأتوا بأقل من ذلك؛ كما في قوله ـ تعالى -: وفليأتوا بحديث مثله، إن كانوا صندقين ﴾ [الطور: 34]، وكل هذه التحديات لم يتصد لها أحد من بلغاء الناس وفصحائهم في عهد النبي ، ويدل هذا على صدق رسالته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وأن هذا القرآن ليس من عنده.
3- ومن فوائد الآيتين الكريمتين: إثبات علو الله ـ عز وجل ؛ لقوله ـ تعالى ـ: «مما نزلنا على عبدنا؛ والنزول إنما يكون من الأعلى إلى الأدنى، وعلو الله - عز وجل ـ ينقسم على قسمين: علو ذات وعلو
صفة.

فأما علو الذات فهو أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عال على كل شيء، مستو على عرشه الذي هو أعلى المخلوقات، وهذا العلو ثابت بالقرآن، والسنة، وإجماع السلف، والعقل، والفطرة؛ أما الكتاب فأدلته على علو الله بذاته أكثر من أن تحصى، وقد جاءت على وجوه متنوعة؛ تحقيقا لهذا العلو، وأما السنة؛ فكذلك دلت على علو الله بذاته بأدلة كثيرة متنوعة، فمنها ما دلالته بالقول، ومنها ما دلالته بالفعل، ومنها ما دلالته بالتقرير؛ أي: بإقرار الغير على ذلك، وأما الإجماع؛ فقد أجمع السلف من الصحابة، والتابعين، وأئمة الأمة، بل وعامة الأمة الذين بقوا على فطرتهم على علو الله ـ تعالى ـ بذاته، ولم يقل أحد منهم: إن الله ليس في

١٢٤

العالم ولا خارجه؛ بل كلهم يجمعون على أنه ـ سبحانه وتعالى ـ فوق كل شيء، وأما العقل؛ فلأن العلوصفة كال لا شك في ذلك؛ فالله - عز وجل ـ قد ثبت له جميع صفات الكال؛ كا قال ـ تعالى ـ: «ويل المثل الأعلى﴾ [النحل: 60]، وأما الفطرة؛ فإن كل شخص مفطور على على الله ـ عز وجل ـ حتى وإن لم يقرأ كتابا أو يدرس على عالم؛ ألا ترى إلى الرجل إذا دعا الله ـ تعالى ـ يرفع يديه إلى السماء، ويرفع قلبه كذلك إلى السماء بدون أن يدرسه أحد ذلك؟! لأنه يعلم ذلك من فطرته، وقد ذكر أن أبا المعالي الجويني كان يقرر ويقول: إن الله كان ولا شيء، وهو ـ الآن ـ على ما كان عليه؛ يريد أن ينكر استواء الله على العرش، فقال له أبو العلاء الهمداني ـ رحمه الله ـ: يا أستاذ، دعنا من ذكر العرش وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، ما قال عارف قط: يا الله؛ إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو، فلطم أبو المعالي رأسه، وجعل يقول: حيّرني الهمداني، حيّرني الهمداني؛ أي: أن هذا دليل فطري على علو الله لا ينكره أحد، ولكن يجب أن نعلم أن الله ـ تعالى ـ فوق كل شيء، لكنه ليس محصورا بشيء؛ كما يكون الواحد منا فوق السطح، فيكون محصورا بجدران السطح، ولكن الله ـ تعالى ـ فوق كل شيء، وليس محصورا بأي شيء من الأشياء؛ لأن الفوق المطلق ليس فيه شيء إلا الله ـ عز وجل.
وأما القسم الثاني ـ وهو علو الصفة ؛ فمعناه: أنه ما من صفة كال

سورة البقرة

١٢٥

إلا والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلاها وأكملها؛ ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ: و سبح اسم ربك الأعلى ﴾ [الأعلى: 1]، وقوله: «وبله المثل الأعلى [النحل: 60]، وقوله: «وله المثل الأعلى﴾ [الروم: ٢٧]، ودلالة هذا القسم في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ، وفي إجماع الصحابة، وفي العقل، وربما يكون في الفطرة دليل عليه أيضا؛ فأما الكتاب فذكرنا منه ما سبق؛ وهو قوله ـ تعالى ـ: «وله المثل الأعلى﴾ [الروم: ٢٧]، وقوله: ولله المثل الأعلى﴾ [النحل: 60]، وقوله: «سبح اسم ربك الأعلى
[الأعلى: 1].

وأما السنة؛ فالأحاديث فيها كثيرة دالة على كمال الله ـ عز وجل ؛ فقد حدث النبي ﷺ عن كمال الله وعن عظمة صفاته بأحاديث لا تحصى، وكان رسول الله ﷺ يقول في سجوده: سبحان

ربي الأعلى؛
فيثبت له صفة العلو المطلق، وهو كما يشمل علو الذات ـ أيضا ـ يشمل علو الصفات.

وأما الإجماع؛ فقد أجمع المسلمون على أن الله ـ تعالى ـ صفات
الكمال من كل وجه.

وأما العقل؛ فلأن من المعلوم أنه لا يمكن أن يعبد باستحقاق العبادة إلا من كان كامل الصفات؛ ومن ثم أنكر إبراهيم الخليل على أبيه أن يعبد ما لا يسمع، ولا يبصر، ولا يغني عنه شيئا، وقال: «يتأبت

أحكام من القرآن الكريم

لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ﴾ [مريم: ٤٢]؛ لأن مثل هذا ناقص؛ والناقص لا يمكن أن يكون ربا يعبد لنقصه، ولا أحد من المخلوقات له الكمال المطلق سوى رب الأرض والسموات. وأما دلالة الفطرة على علو الصفة؛ فلأن الإنسان بفطرته يلجأ عند المصائب والشدائد إلى الله ـ عز وجل ؛ لعلمه أن الله قادر على كشف هذه المصائب والشدائد.

من
٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: «وإن كنتُم في ريب مما نزلنا على عبدنا إثبات أن القرآن كلام الله؛ وذلك لأن القرآن كلام ليس عينا قائمة بنفسها، وإنما هو كلام، وإذا كان نازلا من عند الله؛ لزم أن يكون كلام الله، وهذا هو الذي أجمع عليه السلف وأئمة الأمة: أن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ فقد تكلم الله ـ تعالى ـ به حقيقة، وسمعه جبريل الله، وألقاه على قلب النبي و؛ قال الله ـ تعالى ـ في سورة الشعراء: وإنه لتنزيل رب العالمين ﷺ نزل به الروح الأمين و على قلبك لتكون من المنذرين دي بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥)؛ فبين الله في هذه الآية المنزل، والمنزل، والنازل به، والنازل عليه، واللغة التي نزل بها؛ خمسة أشياء ؛ فقال: «وإنه»؛ أي: القرآن المنزل لتنزيل رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٩٢] هذا المنزل منزل به الروح الأمين ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، هذا النازل به *على

سورة البقرة

قلبك [الشعراء: ١٩٤]، هذا المنزل عليه «بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء: ١٩٥]، هذه اللغة؛ فالقرآن جمع هذه الأوصاف كلها؛ إذن فهو كلام الله ـ عز وجل ـ بهذه اللغة، اللغة العربية، والكلام لا أحد يشك في أنه من صفات الكمال؛ فإن المتكلم أكمل من الذي لا يتكلم، وبهذا احتج السلف على من قالوا: إن القرآن مخلوق، فإنه لو كان مخلوقا؛ لم يكن هناك كمال في الله من هذا الوجه؛ فالكلام من الكمال. هـ ومن فوائد هذه الآية أيضا: الإشارة إلى فضل القرآن؛ حيث إنه كلام الله؛ فإن الكلام يشرف بشرف من تكلم به، ولا سيما إذا كان هذا الكلام متضمنا لمعاني الأخلاق، وكمال الآداب؛ كما في القرآن الكريم، ولا شك أن القرآن الكريم أصدق الكلام وأكمله من جميع الوجوه من حيث الفصاحة، والجودة، والنفع، والحكم، ولو لم يكن منه إلا أنه كلام الله لكان كافيا في الشرف والفضل.

6ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: فضل رسول الله ﷺ؛ لكونه عبدا الله، ولا شك أن العبودية الله من أشرف المناقب، بل هي أشرف المناقب، ومن لم يكن عبدالله صار عبدا لهواه؛ لأن الإنسان لا بد أن يكون متذللا لشيء، فإما أن يكون متذللا لربه، وإما أن يكون متذللا لهواه وشيطانه.
ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن النبي ﷺ لا حق له في شيء من

١٢٨

أحكام من القرآن الكريم

خصائص الربوبية؛ لأن العبد خلاف الرب؛ فلا شيء لرسول الله ﷺ من خصائص الربوبية، فلا يملك نفعا لأحد ولا دفع ضرر عنه، ولا يعلم الغيب، وليس عنده خزائن الله، وقد أمره الله ـ تعالى ـ أن يعلن ذلك للملا؛ فقال: «قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى﴾ [الأنعام: 50]؛ يعني ما أنا إلا رسول مبلغ عامل بها أوحي إلي مبلغ له، وقال الله ـ تعالى ـ: « قل إني لا أملك لكر ضرا ولا رشدا و قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه، ملتحدا إلا بلغا من الله ورسلته ﴾ [الجن: ٢١ - ٢٣]؛ يعني: لست إلا مبلغا من الله - سبحانه وتعالى ـ ورسولا من عنده، وأنا لا أملك لكم ضرا ولا رشدا، ولو كان يملك شيئا لملك أن ينقذ من شاء من الهلاك والضلال، ويهدي من شاء، وهذا ليس إليه؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: «ليس لك من الأمر شي:﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وأمره - تعالى ـ أن

يقول: «قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما معنى الشوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ [الأعراف: ١٨٨].

٢٢

هـ. ويتفرع عن هذه الفائدة بيان ضلال أولئك الذين يتعلقون برسول الله ﷺ فيدعونه، ويستغيثون به، ويرجون شفاء المرض، وإزالة الضرر، وحصول المطلوب، ويعرضون بذلك عن رب العالمين ـ عز وجل ـ، كما أن بعضهم ربها يظن أن ما عند الرسول ﷺ أقرب مما عند

سورة البقرة

١٢٩

الله مع أن النبي ﷺ لا يملك من هذا الأمر شيئا، وقد ضل من هذا الوجه طائفتان: طائفة ادعت أن لرسول الله ﷺ شيئا من خصوصيات الربوبية، وطائفة أخرى كذبت الرسول ﷺ، وقالت: إنه ليس برسول؛ إما أنها نفت رسالته مطلقا أو نفت عموم رسالته، وكلتا الطائفتين ضالتان، والحق أن رسول الله ﷺ عبد رسول، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، والعبودية تنقسم إلى قسمين: عبودية عامة، وعبودية خاصة؛ فالعبودية العامة هي التعبد للقدر؛ وهي العبودية الكونية القدرية التي تشمل كل المخلوقات، فما من مخلوق إلا وهو عابد ذليل لقضاء الله وقدره حتى أكفر الخلق؛ كما قال الله - تعالى -: «إن كل من في السموات والأرض إلا ءاتي الرحمن عبدا [مريم: ٩٣]؛ فكل الناس عبيد الله بالعبودية الكونية القدرية، وهذه لا يمدح الإنسان عليها؛ لأنها تكون قهرا عليه وبغير اختيار منه.

أما القسم الثاني فهو العبودية الخاصة؛ وهي التعبد الله ـ تعالى - بشرعه، وهذه لا تكون إلا من المؤمنين؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: «وعباد
الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجهلون قالوا سلما﴾ [الفرقان: 63]، وذكر بقية صفاتهم، وهذه العبودية فيها ـ أيضا ـ ما هو أخص من مطلق العبودية، وهي عبودية الوحي والرسالة؛ كما في هذه الآية الكريمة: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا.

١٣٠|

أحكام من القرآن الكريم

9ـ ومن فوائد الآية الكريمة: الفضيلة العظيمة لرسول الله ﷺ بإضافة عبوديته إلى الله ـ عز وجل ـ؛ أي: أن الله أضاف إليه عبودية محمد ﷺ؛ أنه عبده، ولا شك أن في هذا فخرا لرسول الله ﷺ وعزة
ورفعة.

١٠ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن من آداب المحاجة والمناظرة تحدي الخصم؛ فإن الله ـ تعالى ـ يقول هنا: «فأتوا بسورة من مثله»، ولا شك أن في تحدي الخصم إظهارا لضعفه، وأنه لا يستطيع المقابلة، والتحدي طريق من طرق المناظرة المفيدة، ولكن ينبغي ألا يتحدى الإنسان أحدا إلا وهو واثق من أنه عاجز؛ لأنه لو أتى بالشيء على صيغة التحدي، ثم تبين قدرة المتحدى صار في ذلك انهزام شديد للمتحدي؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ في هذه الآية: «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا إشارة إلى أنهم عاجزون عما تحدوا به، ولن يستطيعوا ذلك. ١١ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه لا أحد يستطيع أن يأتي بسورة من مثل هذا القرآن ولو دعا من دعا إليه ليعاونه؛ لقوله: وادعوا شهداءكم من دون الله»؛ أي: كل من تعبدونه وتستعينون به
من دون الله فادعوهم؛ ليكونوا معكم في الإتيان بسورة من مثله. ١٢ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أنه لن يستطيع أحد من هؤلاء المعارضين لرسول الله ﷺ أن يأتي بسورة من مثل ما جاء به الرسول

سورة البقرة

؛ لقوله: «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا.
١٣-ومن فوائدهما: أن من كابر وأصر على عناده، وكذب الرسول ؛ فإن النار مثواه؛ لقوله: فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة.

١٤- ومن فوائدهما: أن يأتي المتكلم بما يقتضي التهديد؛ لقوله: والتي وقودها الناس والحجارة»؛ فإنه إذا قيل: إن النار وقودها الناس؛ فلابد أن يحذر الإنسان منها ويخشى أن يكون من جملة الوقود. ١٥ـ ومن فوائد الآيتين: أن النار موجودة الآن؛ لقوله: «أعدت للكفرين» ؛ فإنّ الإعداد بمعنى التهيئة، ولا شك أن الجنة والنار موجودتان الآن؛ كا دل على ذلك القرآن والسنة؛ فقال الله ـ تعالى ـ في الجنة: «أعدت للمتقين﴾ [آل عمران: 133]، وقال في النار:

«أعدت للكفرين﴾ [البقرة: ٢٤]، وعرضت الجنة والنار على النبي ﷺ وهو يصلي بالناس صلاة الكسوف، ورأى في النار من يعذب. وكما أن الجنة والنار موجودتان الآن، فها باقيتان أبد الآبدين، لا تفنيان؛ لأن الله ـ تعالى ـ ذكر التأبيد في عدة آيات؛ فأما التأبيد في الجنة؛ فالآيات في هذه كثيرة، وأما التأبيد في النار؛ ففي ثلاث آيات من القرآن؛ في سورة النساء في قوله ـ تعالى -: «إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ت إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدأ وكان ذلك على الله

أحكام من القرآن الكريم

يسيرا [النساء: 168، 169]. وفي سورة الأحزاب في قوله ـ تعالى ـ: «إنّ الله لعن الكفرين وأعد لهم سعيرا (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾ [الأحزاب: ٦٤- ٦٥]، وفي سورة الجن في قوله ـ تعالى ـ: «إلا بلغا
من الله ورسليه، ومن يعص الله ورسوله، فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا [الجن: ٢٣]؛ ولهذا كان من عقيدة أهل السنة والجماعة اعتقاد أن الجنة والنار موجودتان الآن، وأنها لا تفنيان أبد الآبدين، وإن كان قد ذكر خلاف في أبدية النار فإنه خلاف مرجوح؛ فالراجح بل المتيقن القول: إن النار لا تفنى كما أن الجنة لا تفنى.

١٦ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أن القرآن الكريم سيبقى آية إلى الأبد لرسول الله ﷺ؛ لأن هذا التحدي الذي وقع به ثابت إلى يوم القيامة، فلن يستطيع أحد أن يأتي بمثل هذا القرآن إلى يوم القيامة. ١٧-.ومن فوائد الآيتين: الكريمتين الإشارة إلى أن هذا القرآن سيبقى، وذلك أنه قال: «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة»، وإذا كان وقودها الناس، وهو يشمل الناس إلى يوم القيامة المخالفين لهذا القرآن؛ دل هذا على أن القرآن سيبقى متحديا لجميع الناس إلى يوم القيامة، وأن من خالفه فسيكون وقود النار.
١٨ـ ومن فوائد الآيتين: إثبات الجزاء؛ فيدل على إثبات اليوم

سورة البقرة

الآخر، وهو أحد أركان الإيمان الستة، التي هي الإيمان بالله، وملائكته، وكبته، ورسله، واليوم

الآخر، والقدر: خيره وشره.

ثم قال ـ تعالى ـ: « وبشر الذين ءامنوا وعملوا الصلحت أن لهم جنت تجري من تحتها الأنهر كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوابه، متشبها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها
خلدون .

هذه الآية الكريمة لها ارتباط با قبلها؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى - بين فيها سبق أن النّار أعدت للكافرين، وكان هذا القرآن الكريم مثاني تثنى فيه المعاني؛ فإذا ذكر الثواب ذكر العقاب، وإذا ذكر الكفر ذكر الإيمان، وهكذا؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: « الله نزل أحسن الحديث كتبا متشبها مثاني﴾ [الزمر: ٢٣].

وفي هذه الآية الكريمة يقول الله ـ عز وجل -: «وبشر الذين امنوا»، وهنا الخطاب للرسول ﷺ، أو لكل من يتأتى خطابه؛ فهو مأمور بالبشارة، إن كان للرسول ﷺ فكل من خلفه في العلم والدعوة فإنه يمكن أن يقوم بهذه البشارة، والبشارة فيها الإخبار با يسر، وسميت بذلك؛ لأن الإنسان إذا أخبر بما يسره ظهر ذلك على بشرته، وهنا المبشر: والذين ءامنوا وعملوا الصلحت»، والمبر به

أحكام من القرآن الكريم

جنت تجري من تحتها الأنهر، والمبشر: الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، والأمر بالتبشير هو: الله ـ عز وجل ـ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين جمعوا بين الاستسلام الباطن والاستسلام الظاهر؛ الاستسلام الباطن في الإيمان، والظاهر في عمل الصالحات، وجمعوا ـ أيضا ـ بين الإخلاص والمتابعة؛ فالإخلاص في القلب؛ وهو أمر باطن، والمتابعة في الجوارح؛ وهو أمر ظاهر؛ فالبشرى لمن جمع بين الأمرين، بين الصلاح في الباطن والصلاح في الظاهر، والصالحات: هي الأعمال التي اشتملت على الإخلاص الله، والمتابعة لرسول الله ﷺ أما الإخلاص لله؛ فأن ينوي الإنسان بعمله وجه الله، والدار الآخرة، وامتثال أمر الله، وأما المتابعة؛ فأن يكون متبعا لرسول الله ﷺ فيا يقول، ويفعل، ويذر، ولا تتحقق المتابعة إلا بموافقة العبادة للشريعة في أمور ستة: السبب، والجنس، والقدر، والكيفية، والزمان، والمكان؛ فمن تعبد الله ـ تعالى ـ عبادة مقيدة بسبب لم ترد به الشريعة؛ فعبادته مردودة

عليه غير مقبولة منه؛ كما لو تعبد الإنسان الله بذبح شاة؛ تقربا إلى الله ـ تعالى ـ عند مناسبة لا يشرع فيها ذلك؛ فإن هذا يكون غير مقبول عند الله؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»(1)؛ فإذا ضحى الإنسان بفرس؛ لم تقبل منه؛ لأنها ليست من

(1) سبق تخريجه ص(٤٩).

جنس مما يضحى به شرعا، ولو زاد الإنسان في عبادته؛ لم تقبل منه هذه الزيادة؛ لأنها ليست على أمر الله ورسوله، ولو فعل العبادة على غير الوجه الذي وردت عليه؛ لم تقبل منه؛ كا لو توضأ منكسا مثلا؛ فإن ذلك لا يقبل منه؛ لأنه على خلاف ما جاء عن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ولو ضحى في غير وقت الأضحية؛ لم تقبل منه؛ لأنها في غير الزمان المعين للأضحية، ولو اعتكف في غير المسجد؛ لم يقبل منه؛ لأنه ليس في المكان الذي خصص شرعا للاعتكاف؛ فإذن لا تتحقق

المتابعة لرسول الله ﷺ إلا إذا تضمنت العبادة هذه الأمور الستة. وقوله: «أن هم جنت تجري من تحتها الأنهر الجنات: جمع جنة، وجمعت لاختلاف أنواعها، وأسائها، وأحوالها، والأصل في معنى الجنة أنها البساتين الكثيرة الأشجار؛ لأنها تجن من فيها؛ لكثرة أشجارها وأغصانها، والمراد بالجنة ـ التي ذكرها الله هنا ـ دار النعيم التي أعدها الله ـ تعالى ـ للمتقين، والأنهار التي تجري من تحتها؛ أي: من أسفلها وتحت القصور والأشجار أربعة أصناف بينها الله ـ تعالى - في قوله: «مثل الجنة التي وعد المثقون فيها أنهر من ماء غير اسن»؛ أي: غير متغيره وأنهر من لبن لم يتغير طعمه، وأنهر من خمر لذة للشربين وأنهر من عسل مصفى » [محمد: 15]، وبين الله ـ تعالى ـ أنه كلا رزقوا من هذه الثمرات رزقا قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل؛ لأنه يشبهه في اللون والحجم، فيقولون: هذا الذي رزقنا من قبل، ولكنهم إذا طعموه

تبين لهم أنه غيره، وهذا من تمام لذة الآكلين إذا أتوا بالطعام أو بالثمرة متشابها، ولكنه يختلف في الذوق؛ فصار في هذا شيء من اللذة؛ ولهذا قال: «وأتوا به، متشبها، وبين الله ـ عز وجل ـ أن فيها أزواجا مطهرة، مطهرة الظاهر والباطن؛ فهي مطهرة الباطن من الحقد على زوجها والكراهة له، وفي الظاهر من كل قذر وأذى، وتمام هذا النعيم أنهم فيها خالدون.

فوائد هذه الآية:

1ـ في هذه الآية الكريمة من الحكم والفوائد أنه ينبغي أن يبشّر العامل بها يستحق من الثواب؛ لأن ذلك أبلغ في نشاطه ومثابرته على
العمل.

٢ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن البشرى بالجنة لا تكون إلا لمن آمن وعمل؛ فمجرد العقيدة لا تكفي للبشارة بالجنة؛ بل لا بد من إيمان وعمل؛ و
؛ ولهذا يربط الله ـ تعالى ـ دائها ـ الإيمان بالعمل الصالح. 3ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أنه كلما كان الإنسان أقوى إيانا وأكثر عملا كان أحق بالبشارة بالجنة؛ وذلك لأن الحكم المعلق على وصف يقوى بقوة ذلك الوصف، ويضعف بضعفه.

٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الأعمال الفاسدة لا ترفع صاحبها ولا تنفعه، بل هي حرام عليه؛ لأنها نوع من الاستهزاء بالله ـ عز

سورة البقرة

١٣٧

وجل ؛ ويتفرع على هذه الفائدة أنه لا يجوز للإنسان ـ مثلا ـ أن يصلي بلا وضوء أو يصلي بنجاسة لا يعفى عنها؛ لأن ذلك من العمل الفاسد، وإذا فعله صار كالمستهزئ بالله.

5 - ومن فوائد الآية الكريمة: أن هؤلاء المؤمنين العاملين للصالحات جزاؤهم الذي يبشرون به هذه الجنات العظيمة التي تشتمل على كل خير، وقد بين الله ـ تعالى ـ في آية أخرى أن فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

6 ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن هذه الجنات فيها القصور الشامخة والأشجار العالية؛ لقوله: «من تحتها الأنهره؛ فإن التحت، لا بد أن يكون له فوق، ومعلوم أن هذه الأنهار لا تجري من

أسفل أرض الجنة؛ ولكنها تجري من تحت ما فيها من الأشجار والقصور، وقد قال الله ـ تعالى ـ في سورة الرحمن: «خور مقصورات في الخيام﴾ [الرحمن: ٧٢]، وبينت السنة هذه الخيام الجميلة الرفيعة.

ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن في الجنة أنهارا؛ لقوله: وتجري من تحتها الأنهره، وأن فيها ثارا؛ لقوله: «كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل، ولكن هذه الأنهار وهذه الثمار لا تشبه ـ في الحقيقة ـ ما في الدنيا من الأنهار والثمار؛ فهي تختلف عنها اختلافا عظيما لا يمكن أن يدركه الإنسان بحشه في الدنيا؛ كما قال

٧

= ١١٣٨

أحكام من القرآن الكريم

الله ـ تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة: 17]، وكما في الحديث القدسي: «قال الله: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب

-
بشر»(١)، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنها ـ: «ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء».

وقوله ـ تعالى ـ: «فيهما فكهة ونخل ورمان* [الرحمن: ٦٨]، النخل، والرمان، والفاكهة موجودة في الدنيا، لكن تختلف؛ كما أن الحياة هناك تختلف عن حياة الدنيا، انظر ـ مثلا ـ إلى الناس في هذه الدنيا يحتاجون إلى النوم، وفي الجنة لا يحتاجون إلى النوم؛ فلا ينامون، تصيبهم الأمراض والأوصاب في الدنيا، وفي الجنة لا تصيبهم، في الدنيا إذا سقط الإنسان في النار احترق ومات، وفي الآخرة إذا سقط في النار؛ فإنه ـ وإن احترق ونضج جلده من النار ـ لا يموت * كلما نضجت جلودهم بذلتهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيمًا ﴾ [النساء: 56].

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن أهل الجنة كما يتنعمون بالطعم يتنعمون أيضا باللون؛ حيث يؤتى إليهم بهذه الفاكهة المتشابهة،

(1) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، رقم (٣٢٤٤)؛ ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب صفة الجنة، رقم (٢٨٢٤).

ثم إذا أكلوها صارت مختلفة عما سبق، وهذا يعطـي الإنسان زيـادة في اللذة وشهوة الطعام.
ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن في الجنة أزواجا مطهرة يتلذذ الإنسان بهن ويتمتع بهن؛ كما قال الله - تعالى -: « إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فيكهون و هم وأزواجهم في ظلال على الأرابك متكفون ي لهم فيها فكهة ولهم ما يدعون ع سلام قولا من رب رحيم ﴾ [يس: ٥ ٥ ـ ٥٨]، وقال ـ تعالى ـ في سورة الرحمن: «فيهما من كل فنكهة زوجان فبأي ؛الاء ربكما تكذبان ع متكين على فرش بطاينها من إستبرق وحتى الجنتين دان 5 فبأي الاء ربكما تكذبان و فيهن قصرت الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ [الرحمن: ٥٢ - ٥٦]؛ وهذا يدل على أنهم يتلذذون بهذه الزوجات في الجلوس على الأرائك والاتكاء عليها، مع تقديم الفواكه من الولدان والخدم. ١٠ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن أهل الجنـة خـالـدون فيهـا، وقد بينت الآية الأخرى أن هـذا الخلـود خـلـود أبـدي (لا يبغون عنها جولًا [الكهف: ١٠٨]، ولا يخرجون منها.

١١ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الحـث عـلى الإيمان والعمـل الصالح والتريث فيه؛ لأن الأمر بالبشارة في الجنـة لمـن آمـن وعـمـل صالحا يقتضي حث هؤلاء المبشرين على الإيمان والعمل الصالح.

ج
ثم قال الله - تعالى -: «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين ءامنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفسقين» .
ج

ج
في هذه الآية يقول الله ـ تعالى ـ: «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا أي مثل كان؛ وذلك لأن الأمثال التي يضربها الله للناس فيها من العبر والمصالح ما يجعل ضربها من الحكم العظيمة التي ينتفع بها العباد؛ فقد ضرب الله مثلا بالعنكبوت، ومثلا بالذباب، وهنا قال: بعوضة فما فوقها»، وقال الله ـ تعالى ـ: «مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بينا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ [العنكبوت: 41]، وقال الله ـ تعالى ـ: «يتأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له: إن الذين تدعون من دون الله لن تخلفوا ذبابا ولو اجتمعوا له, وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب [الحج: 73]، والرب ـ عز وجل - يضرب هذه الأمثال من أجل العبر ومصالح العباد؛ ولهذا لا يستحي أن يضرب هذه الأمثال وإن قلت، قال هنا: «بعوضة فما فوقها»؛ البعوضة: واحدة البعوض وهو معروف، «فما فوقها كالذباب والعنكبوت؛ فالله لا يستحي من ذلك؛ لأنه حق، والله ـ تعالى ـ لا يستحي من الحق؛ لما في هذه الأمثال من المصالح والمنافع العظيمة.

-

سـورة البقـرة

141

ثم يبين الله ـ تعالى ـ في هذه الآية أن الناس انقسموا نحـو هـذه الأمثال إلى قسمين: «فأما الذين ءامنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم؛ لما تتضمنه هذه الأمثـال مـن المصالح والمنافع. وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا»، يقولون ذلك استهزاء، وسخرية، واحتقارا لهذه الأمثال، وبين الله ـ عز وجل ـ أنه يـضـل بهـذا المثـل مـن يشاء، بل يضل به كثيرا ممن اقتضت حكمته أن يضلوا، ويهدي به كثيرا ممـن اقتـضت حكمتـه أن يهتـدوا؛ ولهـذا قـال: «وما يضل به إلا الفسقين الخارجين عن طاعة الله.

في هذه الآية الكريمة إشارة إلى انتفاء استحياء الله - عز وجل ـ مـن الحق؛ وهذا يدل على أن الله ـ عز وجل ـ يستحي مـن غـير الحـق؛ لأن الحياء من غير الحـق وصـف كـال، والله ـ سبحانه وتعالى ـ متّصف بصفات الكـال؛ ولهـذا جـاء ثبوت الحياء الله في حـديث رسول الله
إنّ الله خيي كريم، يستحي إذا رفع الرجـل إلـيه يـديه أن يردهمـا صفرا خائبتين» (ا)؛ فالحياء ـ هنا ـ ثابت الله في هذا الحديث نطقا صريحا بدلالة المنطوق، وفي الآية الكريمة: «إن الله لا

يستحي أن يضرب مثلًا ما بعوضة ثابت الله بطريقة المفهوم، والحياء ـ كسائر صفات الله ـ يجب

(١) رواه أبو داود: كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم (١٤٨٨)؛ والترمذي: كتاب الدعوات، باب رقم (١٠٤)، حديث رقم (٣٥٥٦)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»؛ وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء، رقم (٣٨٦٥)؛ والحاكم (1/ 675)، وصححه.

أحكام من القرآن الكريم
على الإنسان اعتقاد ثبوته الله ـ عز وجل ـ؛ لأن الله أثبته لنفسه، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم بنفسه وبغيره، فإذا أخبر عباده بصفة من صفاته وجب عليهم قبول هذه الصفة، ولا يجوز لهم أن يعارضوها با يظنونه عقلا وهو وهم في الواقع؛ وذلك لأن كلام الله اجتمع فيه كل الصفات التي تستلزم قبول الخبر؛ فإنه صادر عن تمام العلم، وتمام النصح والبيان، وكمال الفصاحة، وكمال الصدق، فالكالات التي تكون في الكلام هي
هذه الأوصاف الأربعة: العلم، والصدق، وحسن الإرادة والقصد، والفصاحة والبيان؛ أما العلم؛ فلا أحد يشك أو ينكر أن الله - تعالى ـ أعلم بنفسه من غيره،وأما الصدق؛ فكلام الله ـ تعالى ـ أصدق الكلام، وأما الفصاحة؛ فكلام الله ـ تعالى ـ أفصح الكلام؛ ولهذا عجز العرب ـ مع كال فصاحتهم ـ عن الإتيان بمثله.

١٤٢١

وأما الإرادة؛ فقد قال الله ـ تعالى -: « يريد الله ليبين لكم ويهديكم من الذين من قبلكم ﴾ [النساء: ٢٦]، وقال ـ تعالى -: ويبين الله لكم أن تضلوا﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي لئلا تضلوا والله بكل شيء عليم [النساء: 176]، فإذا أخبرنا الله ـ تعالى ـ عن صفة من صفاته؛ وجب علينا قبول هذا الخبر واعتقاد مدلوله، ولا يجوز لنا أن نحرف معناه إلى ما يخالف ظاهره إلا بدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ
وهذه هي الجادة التي بنى أهل السنة والجماعة عقيدتهم عليها.

سورة البقرة

فوائد هذه الآية الكريمة:
١ـ من فوائد هذه الآية: ضرب الأمثال بتقريب المعقولات؛ لأن الأمثال تكون أمورا محسوسة يستدل بها على الأمور المعقولة. ٢- ومن فوائدها: أنه ينبغي لمن أراد الإيضاح

والبيان ـ وكان ذلك يتوقف على ضرب المثل ـ أن يبين ذلك بالمثل؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: وتلك الأمثل نضربها للناس وما يعقلها إلا العلمون ﴾ [العنكبوت: 43]، وقال الله ـ تعالى ـ: « ولقد ضربنا للناس في هذا القرءان من كل مثل *
[الروم: ٥٨].

143

الله

3ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الناس ينقسمون فيها ضرب الأمثال إلى قسمين: قسم مصدق مؤمن موقن بأن ذلك حق، وقسم آخر مستكبر ساخر يقول: * ماذا أراد الله بهذا مثلا »، هكذا أخبر الله في هذه الآية، وهذا هو الواقع، ونظير هذه الآية الكريمة قوله ـ تعالى ـ: (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمننا فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمينا وهم يستبشرون (وأما الذين في قلوبهم مرضت فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كفرون ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، فهذا القرآن ينقسم الناس فيه إلى هذين القسمين، فمن اهتدى به فقد وفق، ومن ضل عنه واستكبر فقد خرم خيرا كثيرا.
ج

من

= ١١٤٤

أحكام من القرآن الكريم

٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الهداية والإضلال بيد الله * يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا "، وأخبر الله بذلك من أجل أن نلجأ إليه، وهنا فائدة تترتب على ما سبق؛ وهي اللجوء إلى الله ـ تعالى ـ لطلب الهداية منه والعصمة من الضلال، وألا يعتمد الإنسان على نفسه فيزكيها ولا يرى الله عليه فضلاً بالهداية، فالهداية بيد الله ـ عز وجل. هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هداية الله وإضلاله مبنيان على الحكمة؛ لأن الله لا يضل إلا من كان أهلا للإضلال؛ وهم الفاسقون، ونظير هذا قول الله ـ تعالى ـ: «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفسقين﴾ [الصف: 5]، فمن كان طالبا للخير، وسلك الأبواب التي توصله إليه، بل وسلك الطرق التي توصله إليه؛ وفق له، ومن فسد وأعرض فلا يلومن إلا نفسه.

6 ـ ومن فوائد قوله ـ تعالى ـ: «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها» إثبات الإرادة الله ـ عز وجل ـ، والإرادة المضافة إلى الله تنقسم إلى قسمين: إرادة شرعية، وإرادة كونية.

فالإرادة الشرعية هي التي بمعنى المحبة؛ مثل قوله ـ تعالى ـ: والله يريد أن يتوب عليكم ﴾ [النساء: ٢٧]، والإرادة الكونية هي التي بمعنى المشيئة؛ مثل قوله ـ تعالى ـ: « إن كان الله يريد أن يغويكم ﴾ [هود: ٣٤]، ومثل قوله ـ تعالى ـ: «ولو شاء الله ما أقتتلوا ولكن الله يفعل ما

يريد﴾ [البقرة: ٢٥٣]، والفرق بينها أن الإرادة الشرعية تتعلق با أحبه الله، سواء وقع أم لم يقع، والإرادة الكونية تتعلق با قدره وقضاه، سواء كان يحبه أم لم يحبه، والفرق الثاني أن الإرادة الشرعية قد يقع فيها المراد وقد لا يقع، والإرادة الكونية يقع فيها المراد بكل حال؛ لأن الله ـ تعالى ـ إذا أرد شيئا فإنها يقول له كن فيكون، ولا معقب لحكمه وهو السميع العليم.

ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الأسباب؛ لقوله: «وما يضل به إلا الفسقين» فكان فسقهم سببا في إضلال الله لهم. ٨ـ ومن فوائدها: الحذر من الفسق؛ وهو الخروج عن طاعة الله، والفسق قد يكون كفرا؛ مثل قوله ـ تعالى ـ: « أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون و أما الذين ءامنوا وعملوا الصلحت فلهم جنت المأوى نزلا بما كانوا يعملوني وأما الذين فسقوا فمأونهم النار كلما أرادوا أن تخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به، تكذبون ﴾ [السجدة: ١٨ - ٢٠]

ثم قال الله ـ تعالى ـ في وصف هؤلاء الفاسقين: «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميشقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولتيك هم الخسرون »

هذه من أوصاف أهل الفسق؛ ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه؛ وعهد الله الذي عهد إلى عباده: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا؛ فقد ركز الله ـ تعالى ـ في فطرة كل إنسان أن الرب هو الله - عز وجل ـ، وأنه هو الذي يجب أن يعبد؛ كا جاء في الحديث الصحيح: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه» ومن أوصافهم أنهم يقطعون ما أمر الله به أن يوصل من حقوقه وحقوق عباده، فهم لا يبالون بقطيعة شريعة الله والبعد عنها، بل يحرصون غاية الحرص على أن يصدوا عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجا، وهم كذلك يقطعون ما أمر الله به أن يوصل من الأقارب، والجيران، واليتامى، والمساكين، وغير ذلك؛ لأنهم لا يؤمنون با عند الله من الأجر والثواب، ومن فعل منهم شيئا من هذه الصلات، صلات الخلق، فإنها يفعلها لا من باب التعبد، ولكن من باب العادة أو السجية التي تقتضيها طبيعة المجتمع.

وأما الوصف الثالث من أوصاف أهل الفسق فهو أنهم يفسدون في الأرض بالمعاصي؛ فإن المعاصي سبب الفساد في الأرض؛ كما قال الله - تعالى -: « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم

(1) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب «لا تبديل لخلق الله»، رقم (٤٧٧٥)؛ ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، (٢٦٥٨).

بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ [الروم: ٤١]؛ فالفساد في الأرض ليس بتكسير الجسور، وحفر الخنادق للسقوط فيها، وما أشبه ذلك من الفساد، ليس بهذا فحسب، بل بكل معصية يعصون الله بها؛ لأنه سبب للفساد في الأرض.

ثم بين الله نتيجة هؤلاء ومآلهم؛ فقال: «أولتيك هم الخيروت»، هؤلاء يظنون أنهم على خير، وأنهم رابحون، ولكن الله ـ تعالى ـ بين أنهم هم الخاسرون، وحصر الخسران فيهم؛ فقال: أولتيك هم الخسرون»؛ وذلك لأن الربح إنها يكون لمن اتصف بالصفات الموجبة؛ كا قال الله ـ تعالى : (والعصري إن الإنسان لفي خسر إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبره [العصر: 1-3]، فالإنسان، ـ كل إنسان ـ خاسر إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع.
فوائد هذه الآية الكريمة:

١- في هذه الآية الكريمة من الفوائد بيان أوصاف الفسقة، بل بيان شيء من أوصافهم، وهو أنهم ينقضون عهد الله بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض.

٢ـ ومن فوائدها: التحذير من هذه الصفات؛ لأنها صفات الفاسقين الذين هم أهل الضلال، وهم المستحقون لإضلال الله إياهم.

٣ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: وجوب الوفاء بعهد الله، ومن أوفى بعهد الله؛ أوفى الله له بعهده؛ كما قال الله ـ تعالى ـ في بني إسرائيل: و يبني إسراءيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليك وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإينى فأرهبون ﴾ [البقرة: 40].

٤ـ ومن فوائدها: وجوب صلة ما أمر الله بصلته، وعلى رأس ذلك صلة الأرحام الشاملة لبر الوالدين، وصلة من عداهما؛ فالواجب على المسلم أن يصل ما أمر الله به أن يوصل، ولا شك أن في صلة ما أمر الله به أن يوصل فائدة عظيمة؛ فإن من وصل رحمه وصله الله، ومن قطع رحمه قطعه الله، فعلى المرء أن يكون قائما بالقسط والعدل؛ حتى تحصل له الصلة من الله ـ عز وجل ـ، ومن وصله الله فهو على خير. هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الإشارة إلى أن الإفساد في الأرض من صفات الفاسقين؛ وعلى هذا فيكون الإصلاح في الأرض من أوصاف أهل الخير، والعدل، والاستقامة؛ فيتفرع على هذه الفائدة أنه يجب على الإنسان أن يبتعد عن كل ما يكون سببا للإفساد، وأن يسعى في كل ما يكون سببا للإصلاح.
6 ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هؤلاء المتصفين بهذه الصفات؛ الفسق وما أضيف إليه من هذه الأوصاف هم الخاسرون

الذين لا ربح لهم في الدنيا ولا في الآخرة.

سـورة البقـرة

١٤٩

ثم قال ـ تعالى ـ: «كيف تكفرون بالله وكتم أمواتا فأحييكم ثم يمينكم ثم تحييكم ثم إليه ترجعون ۞ [سورة البقرة: ٢٨].

في هذه الآية استفهام بمعنى التعجـب والإنكـار لأولئـك القـوم الذين يكفرون بالله، وهم يعلمون أنهم كانوا أمواتا فأحياهـم الله ـ عز وجل ـ، كانوا أمواتا قبل أن ينفخ الله فيهم الـروح؛ لأن الإنسان قبـل نفخ الروح فيه ميت جماد، فيحييه الله ـ عز وجـل ـ بـنفـخ الـروح فيـه ويخرج إلى هذه الدنيا، ويعمل ويكدح، ثم يميته الله ـ عـز وجـل ـ، ثـم يحييه الحياة الآخرة التي ليس بعدها مـوت، ويرجعـه إلـيـه؛ ليوفيـه مـا عمل، ففي هذه الآية الكريمة الإنكار على أولئك الذين كفروا بالله مع أنه ـ عز وجل ـ اعتنى بهم هذه العناية؛ فأوجدهم من العدم، وأحياهم من الموت، وكان من الواجب عليهم أن يقوموا بشكر هذا المنعم عليهم ـ سبحانه وتعالى.

فوائد هذه الآية الكريمة:
١ـ من فوائد هذه الآية: أن الإنسان قبل أن تنفخ فيه الـروح ميـت جماد لا يتعلق فيه حكم من أحكام الإحياء؛ ويتفرع عـلى ذلـك أنـه لـو سقط قبل أن تنفخ فيه الروح في بطن أمه؛ فإنه لا يغسل، ولا يكفـن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن مع الناس؛ لأنه عبارة عن قطعة لحم، يـدفن في أي مكان من الأرض، ولا يحتاج إلى تسمية، ولا إلى عقيقة، فإن قال